لطائف وإشارات
من رسم المصحف الشريف
دراسة تطبيقية على التاء المفتوحة والمربوطة

تصنيف

الأستاذ الدكتور
سامي عبد الفتاح هلال

عميد كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا

مقدمة:

القرآنُ الكريمُ له خصائصُ تميِّزه من غيره من الكتب السَّماوية؛ فضلاً عمَّا كتبه البشرُ بأيديهم، ومن هذه الخصائص كتابته في المصاحف بالرسم العثماني، وهذه القضية قد شغلت فكر العلماء قديماً، وحديثاً، حيث تناولها الكثيرُ بالبحث والتحليل.

وقد انقسم العلماء حول هذا الرسم العثماني إلى فريقين:

الفريق الأول: نظر إليه على أنه عملٌ بشريٌّ.

الفريق الثاني: نظر إليه على أنه توقيفيٌّ، بل لَّه خصائصُ تميزه عن غيره، وينبغي البحث عنها.

دوافع اختيار البحث:

١- الرغبة في شرف الانتماء إلى خدمة كتاب الله عز وجل؛ لأنال رضاه في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٢- محاولة استنباط بعض اللطائف والأسرار في رسم بعض الكلمات القرآنية التي خالفت الرسم الإملائي.

٣- من خلال تدريسي هذه المادة – رسم المصحف – لطلاب كلية القرآن الكريم – حفظها الله راعية للقرآن الكريم وأهله – ومعايشة قواعد رسم المصحف، وتكشف بعض اللطائف، وجدت لزاماً علي أن أَلفِت الانتباه إليها للبحث فيها، والوقوف على بعض أسرارها. فإن أصبت في ذلك فهو فضل الله تعالى، وإن كانت الأخرى فمن نفسي؛ لذلك أردت أن أنال شرف البحث في هذا الموضوع، وأنعم نظرى في خط المصحف الشريف.

أهمية الموضوع:

بَادِئَ ذِي بَدْءٍ عندما تقرأ في المصحف مع إمعان النظر تجد ألفاظاً كُتِبَتْ في مواضع برسم مخالف لما رسمت به في مواضع أخرى، ولا يوجد لذلك علة صرفية، أو نحوية في الكتابة، كما في قوله تعالى في سورة النحل؛ خطاباً لرسوله الكريم ﷺ: ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

يَمْكُرُونَ ﴾[١]، وقال تعالى في سورة النمل: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[٢] فالفعل: (تَكُ) رُسِمَ في سورة النَّحل بغير نون، وفي سورة النمل بالنون مع ملاحظة الاتِّفاق في الفعل، والمخاطب فيهما واحد، وهو رسول ﷺ، فمثل ذلك ينبغي على القارىء أن يقف عنده، ويعمل عقله وفكره، ويتسائل عن سبب ذلك. والأمثلة على ذلك كثيرة.

أضف إلى ذلك أيضاً وجود بعض الأفكار التى تدعوا إلى كتابة المصحف بالخط الإملائىِّ المعروف؛ بدعوى التيسير على الناس[٣]، وبالتأكيد غاب عنهم ما يحمله هذا الرسم من لطائف وأسرار.

الدراسات السابقة:

عندما تطالع الكتب التي تُعنى بالرسم المصحفيِّ تجدُ إشاراتٍ – على استحياءٍ – تعلِّلُ بعضَ هذه الظواهر التي خالف فيها الرَّسْمُ المصحفيُّ الرَّسْمَ القياسيَّ (الإملائي)، كما في حذف الألف من: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، و﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وغير ذلك[٤].

وقد أفرد البَنَّا المُرَّاكِشِيُّ لذلك كتاباً تحت اسم: (عنوان الدليل في مرسوم التنزيل)، ولكنه غير شافٍ في هذا الموضوع.

ثم تطور الأمر إلى وجود بعض التعليلات في ثنايا الكتب، كما فعل الزَّرْكَشِيُّ في كتابه: (البرهان)، والسِّيُوطِيُّ في كتابه: (الإتقان).

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٧).

(٢) سورة النمل، الآية: (٧٠).

(٣) ينظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٧٩، كما يظهر أيضاً في العصر الحديث في مقالات كثير من الكتاب والمفكرين. ينظر في ذلك جريدة المدينة المنورة في عدة مقالات للأستاذ محمد جمال حافظ وغيره، وكذا جريدة الأهرام المصرية.

(٤) عللوا ذلك بكثرة دوران هذه الكلمات في القرآن الكريم. ينظر: دليل الحيران، ص ٤٤.

ثم ظهرت بعضُ الجهودِ حديثاً للأستاذ الدكتور المطعني، حيث كتب عدة مقالات - في مجلة منبر الإسلام - تناول فيها كثيراً من اللَّطائف والأسرار، ولعله بذلك قد فتح الباب للبحث، والاستنباط. فجزاه الله عنا وعن أهل القرآن خير الجزاء.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي المقارن، وذلك بتحليل المثال الذى أعرضه، مع المقارنة بالموضع الآخر من ناحية الكتابة المصحفية، وذكر أقوال العلماء في هذا الموضع، ثم ما يفتح الله تعالى به على في هذا الإطار، مع أننى لم أستوف كلَّ جزئيات هذا البحث، بل طبقت ذلك على قاعدة واحدة فقط، وهى: (التاء المربوطة)، و(التاء المفتوحة)، وحاولت – قدر الطاقة - إعمال الفكر، وإجالته في استنباط المعانى، وكشف الخوافى، وكما يقول المتنبى:

وَكَم مِّنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً *** وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
وَلَكِنْ تُؤخَذُ الْأَفْهَامُ مِنْهُ *** عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

من أجل ذلك كانت هذه الدراسة، وسوف أتناولها– بإذن الله تعالى - بالبحث في النقاط الآتية:

(مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة).

المقدمة: وفيهاما يلي:

- دوافع اختياري المو ضوع.
- أهمية الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- منهج البحث.
- خطة البحث.

التمهيد: (مدخل إلى علم الرسم)، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالرسم المصحفي.

المطلب الثاني: الخط العربي، وأقسامه.

المبحث الأول: (الرسم المصحفي ضابط أساس من ضوابط قبول القراءة)، وتحته مطلبان:

المطلب الأول: قواعد الرسم المصحفي.

المطلب الثاني: فوائد معرفة الرسم المصحفي.

المبحث الثاني: الرسم المصحفي بين التوقيف والاجتهاد.

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية على التاء المفتوحة، والمربوطة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

*****

التمهيد:

رَسْمُ المُصْحَفِ الشريف يراد به الوضعَ الذي ارتضاه صحابة رسول الله ﷺ في عهدِ خليفةِ المسلمين سيِّدنا عثمانَ - رضي الله عنه - في كتابةِ كلمات القرآن الكريم وحروفه، والأصلُ في المكتوب أن يكون موافقاً - تمام الموافقة - للمنطوق، من غير زيادة، ولا نقص، ولا تبديل، ولا تغيير. ولكن المصاحف العثمانية قد خرجت عن هذا الأصل فَوُجِدَتْ بها حروفٌ كثيرة جاء رسمُها مخالفاً لأصل النطق؛ وذلك لأغراض شريفة ظَهَرَتْ وَتَظْهَرُ فيما بعد - إن شاء الله تعالى-؛ لذا كان لزاماً أن نتحدث عن تعريف الرسم؛ ليقفَ القارئ الكريم على الفروق التي بين الرسمين: (القياسي)، و(الاصطلاحي).

المطلب الأول: التعريف بالرَّسم المصحفيِّ:

تدور مادَّةُ: (رَسَمَ) في معاجم اللُّغة العربية حول الأثر - أي: أثر الكتابة في اللفظ -، أو بقية الأثر[(١)]، قال امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ *** وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

أَتَتْ حِجَجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ *** كَخَطِّ زَبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهْبَانِ[(٢)]

وَرَسْمُ الدَّارِ: ما كان مِنْ آثارها لاَصِقاً بالأرض، وَرَسَمَ على كَذَا وَكَذَا، أي: كَتَبَ[(٣)].

والرَّسْمُ: الْأَثَرُ، والرَّقْمُ أَقْوَى مِنْهُ، وَرَقَمَ رَقْماً: كَتَبَ[(٤)].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (رسم) ١٥/ ١٣٢.

(٢) ينظر: ديوان امرئ القيس، ص٩٨.

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري، مادة: (رسم) ٥/ ١٩٣٢، وأساس البلاغة، مادة: (رسم)، ص٣٣٩، ولسان العرب لابن منظور، مادة: (رسم) ١٥/ ١٣٢.

(٤) ينظر: الكليات للكفوي، ص٤٨٠.

ويرادفه: رَشَمَ يَرْشُمُ رَشْماً: كَتَبَ، والرَّشْمُ: الأثر[١].
وَزَبَرَ الْكِتَابَ يَزْبُرُهُ زَبْراً: كَتَبَهُ[٢].
وَخَطَّ يَخُطُّ خَطًّا: كَتَبَ، وَخَطَّ عَلَى الشَّيءِ: رَسَمَ عَلَيْهِ عَلاَمَةً وَحَظَرَهُ، وَقَدْ يَكُونُ تَصْوِيراً وَنَقْشاً، وَكَتَبَ الْكِتَابَ يَكْتُبُهُ كَتْباً وَكِتَابَةً: خَطَّهُ[٣]. وَعَلَيْهِ: فَالرَّسْمُ بِمُرَادِفَاتِهِ هُوَ أَثَرُ الْكِتَابَةِ. مَعَ وُجُودِ فُروقٍ دقيقةٍ، ولكنها متقاربةٌ في أَدَاءِ المعنى.

والرَّسْمُ في اصْطِلاَحِ اللُّغَوِيِّين: تصويرُ اللَّفظِ بحروف هِجَائية، بتقدير الابتداءِ به والوقوف عليه؛ لتتحولَ اللُّغةُ المنطوقةُ إلى آثارٍ مَرْئِيَّةٍ[٤].

وأَمَّا الرَّسْمُ (العثمانيُّ) في الاصطلاح، فهو: علمٌ جليل تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم الإملائي، وقواعده المقررة فيه[٥].

وقال بعضُ أَهْلِ العلم إنَّ المقصودَ به: أن يُكْتَبَ القرآنُ طبقاً للمصطلح الإملائيِّ الذي اتَّبعه سيدُنا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ - رضي الله عنه- وصحبُه حين كُتِبَ مُصْحَفُ الإمام في عهد سيدنا عثمانَ - رضي الله عنه - ووافقهم عليه[٦].

وعلى هذا: فَالعَلاقَةُ بين المعنى اللغويِّ والاصطلاحيِّ للرسم: أَنَّ الرَّسْمَ في اللُّغة الأثرُ، وَرسَمَ على كذا، بمعنى: كَتَبَ، وَرَسْمُ المصحفِ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الصَّحَابَةِ - رضوان الله عليهم- كما أنه خطٌّ وكتابةٌ.

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، مادة: (رشم)، ص١١١٣.

(٢) ينظر: محيط المحيط، مادة: (رسم)، ص٣٣٦.

(٣) ينظر: الكتاب ١/ ١٦.

(٤) ينظر: الشافية لابن الحاجب، ص١٣٨.

(٥) ينظر: دليل الحيران، ص٣١، ٣٢.

(٦) ينظر: البرهان للزركشي ٢/ ٥، والإتقان للسيوطي ٢/ ١٦٦، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٦٩، والمدخل للشيخ محمد أبو شهبة، ص٣٠٢.

المطلب الثاني: الخط العربي، وأقسامه:

ومِمَّا يلزم ذكرُه في هذا المقام المتعلق بالكتابة: تَعْرِيفُ الخَطِّ؛ لِأَنَّهُ مِن أهمِّ وسائل التعبير إيضاحاً وشمولاً، فالخطُّ العربيُّ :شئ يعبر به عن الواقع الصَّوتيِّ للُّغة العربية.

وعليه فتعريف: (الخط) في اللُّغة، هو: الطريقةُ المستطيلة في الشيء، والطريقُ الخفيف في السهل[١].

والخط في الاصطلاح له عند العلماء عدة تعريفات، منها قولُ الجُرْجَانِيِّ: "هو تصوير اللفظ بحروف هجائية"[٢]، وعرفه البعضُ بقولهم: "الخط: تصوير اللفظ المقصود تصويره برسم حروف هجائية لا برسم حروف أسماء هجائية فإذا قيل لك اكتب: (زَيْدًا) فإنك تكتب مسمى: (زاى، وياء، ودال) دون أسمائها، والأصل في كل كلمة أن تكتب بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها[٣]. ذلك لأن الكتابة محاولة لنقل الظاهرة الصوتية السمعية إلى ظاهرةكتابية مرئية، أو محاولة نقل اللغة من بعدها الزمني المنطوق، إلى بعد مكاني مرئي[٤].

أقسام الخط العربي:

لا يخفى على كلِّ ذي عَيْنَيْنِ أنَّ أقوى عَامل لإبقاءِ كلِّ نفيسٍ رَسْمُهُ، وأوثقَ مُتَكَلَّفٍ بتخليدِ كلِّ عِلْمٍ كَتْبُهُ وَنَقْشُهُ؛ إذ إنَّ الكتابةَ حرزٌ حَصينٌ لما اسْتُودِعَ فيها، وحافظٌ مَتِينٌ لا يخشى عليه النسيان، وضابطٌ للقول إذا حَرَّفَ اللِّسَانُ، وأقربُ وسيلةٍ تُوَصِّلُ إلى الأمم الآتية أخبارَ ومعارفَ الأممِ الخالية.

---

(١) ينظر: لسان العرب مادة: (خطط) ٧ / ٢٨٧.

(٢) ينظر: التعريفات، ص ١٣٣.

(٣) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٣١٩ (بتصرف)، وحق التلاوة، ص ٢٢٤.

(٤) ينظر: نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم، ص٤.

وقد اهتم العلماءُ قديماً بالخطوط العربية، وَقَسَّمُوهَا – على أصح الأقوال– ثلاثةَ أقسام، قال الزركشيُّ: "الخط ثلاثة أقسام:

١- خط يتبع به الاقتداء السلفى، وهو رسم المصحف.

٢- وخط جرى على ما أثبته اللَّفظ، وإسقاط ما عداه، وهو خط العروضيين.

٣- وخط جرى على العادة المعروفة وهو الذي يتكلم عليه النحوي"(١).

ولتوضيح ما أجمله الزركشيُّ أقول:

القسم الأول: الخط الاصطلاحي، أو الإملائي:

وهو الرَّسم الذي وضع علماءُ البصرة والكوفة قواعدَه؛ مستمدين ذلك من المصحف العثمانيِّ، ومن علمَيِ النحو، والصرف(٢).

وأصول هذا الخط خمسة:

١- تعين نفس حروف الهجاء دون أعراضها.

٢- عدم النقصان منها.

٣- عدم الزيادة عليها.

٤- فصل اللفظ عما قبله، مع مراعاة الملفوظ في الابتداء.

٥- فصله عما بعده، مع مراعاة الملفوظ في الوقف(٣).

وهذا الخط هو الذي نستعمله في كتاباتنا العادية، ونرى فيه أنه لم تراع الموافقة التامة بين المكتوب والمنطوق(٤).

القسم الثاني: الخط العروضي:

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي ١ / ٣٧٦.

(٢) ينظر: نتيجة الإملاء، ص٥.

(٣) ينظر: إرشاد القراء والكاتبين للمخللاتي، ص٢٨.

(٤) كما في: (مائة)، و(مائتان)، و(ثلاثمائة)، ففي الكلمات الثلاث زيدت الألف كتابة بينما لا يظهر لها في النطق صوت. ينظر: نتيجة الإملاء، ص ٢٥.

وهو ما اصطلح عليه أهلُ العروضِ في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السَّمع دون المعنى؛ إذ المعتدُ به في صنعة العروض إنما هو اللَّفْظُ؛ لأنهم يريدون به عددَ الحروف التي يقوم بها الوزن متحركاً، وساكناً، فيكتبون التنوين نوناً ساكنة، ولا يراعون حذفها في الوقف، ويكتبون المدغم بحرفين، ويحذفون اللام إذا أدغمت فيما بعدها، ويعتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء[١].

وهذا هو الخط الوحيد الذي تراعى فيه المطابق التامة بين المنطوق والمكتوب.

القسم الثالث: الخط العثماني، أو المصحفي:

وهو الرسم المخصوصُ الذي كُتِبَتْ به حروفُ القرآن وكلماته في أثناء جمع القرآن الكريم - في جميع مراحله الكتابية- التي كان آخرها في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه.

وفي هذا الخط لم تراع الموافقة التامة بين الكتوب والمنطوق؛ لأن رسمه يحتمل أكثر من من صورة منطوقة لعلل وحكم سيأتي الكلام عنها – بإذن الله تعالى – في المبحث الثالث. ومن هنا قيل: خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف، وخط تقطيع العروض[٢].

*****

(١) ينظر: مفتاح السعاة ١/ ٩٣.

(٢) ينظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٧٦.

المبحث الأول: الرسم المصحفيُ ضابط أساس من ضوابط قبول القرءة:

من المتعارف عليه أن علماء القرءات اشترطوا في صحة قبول القراءة عدة شروط، منها: موافقتها الرسم المصحفيَّ، ولو احتمالاً، وقد استعمل هذا المقياس في رد ما خالفه من قراءات سواءٌ عند علماء القراءات، أم عند غيرهم، قال الفراء: "اتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب، وقراءة القراء أحب إلي من خلافه"(١).

وقد صارت موافقةُ الرسم المصحفيِّ أحد أركان القراءة الصحيحة(٢)، فما صح نقله – عن الثقات – من القراءات، ينظر إليه من خلال مقدار دلالة الرسم عليه، فما وافقه قرئ به، وما كان خلاف ذلك اعتبر شاذاً، ولا تجوز القراءة به، لكن موافقة الرسم ليست مطلقة؛ إذ إنَّ في كل الكتابات الأبجدية قصوراً في تمثيل الخط لأصوات اللغة؛ يتمثل ذلك في زيادة بعض الحروف أو نقصانها؛ من أجل ذلك وضع العلماء قواعد الرسم المصحفي.

المطلب الأول: قواعد الرسم المصحفيِّ:

من ينعم النظر في كتاب الله تعالى يجد كثيراً من كلماته وافقت قواعدَ الرسم الإملائيِّ المتعارف عليه، إلاَّ أن هناك كلماتٍ قرآنيةً خرج عن هذا الأصل، وقد تتبعها علماء هذا الفن، وقاموا بإحصائها، وتدوينها، وأفردوا لذلك مؤلفاتٍ خاصة، كما علَّلُوا لهذه الظاهرة، إلاَّ أنهم اختلفوا في تسميتها، فتجد أن الإمام الزركشي- قد أوردها في فصول تحت عنوان: (اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه) (٣).

---

(١) ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٩٣.

(٢) مع ملاحظ موافقة العربية ولو بوجه .

(٣) ينظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٨٠.

وذهب الإمام السيوطي إلى تسميتها: (قواعد الرسم العثماني)[١]، وقد تابعه على ذلك كثير من المؤلفين[٢]، ومنهم من ذهب إلى خلاف ذلك[٣].

وإليك هذه القواعد إجمالاً:

١- الحذف.

٢- الزيادة.

٣- الهمز.

٤- الإبدال.

٥- الوصل والفصل.

٦- ما فيه قراءتان[٤].

المطلب الثاني: فوائد معرفة الرسم المصحفي:

للرسم المصحفيِّ (العثماني) فوائدُ متعددة، لا يعرف حقيقتَها، ولا يدركُ كُنْهَهَا إلاَّ من عايشَ المصحفَ الكريم قراءةً، وكتابةً، وتدبراً، ومن أهمها:

١- اتِّصَالُ السَّند ؛ إذ لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن الكريم، أو يقرئه إلاَّ برواية متصلة السند إلى النبيِّ ﷺ؛ فمن علم قواعد العربية، دون أن يتلقى القرآن على يد شيخ متصل السند، فلن يعرفَ قراءته على الوجه الصحيح؛ إذ إنَّ بعضَ ألفاظِهِ كتبت على غير المنطوق، كما في فواتح بعض السور التي كتبت برسم الحروف لا بهيئات النطق بها، وغير ذلك. وإلاَّ فقل لي- بربك- كيف

---

(١) ينظر: الإتقان ٤/ ١٤٧.

(٢) ينظر: مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٦٢.

(٣) ينظر: البيان في علوم القرآن للدكتور عبد الوهاب غزلان، ص ٢٤٢.

(٤) ينظر تفصيل ذلك مع التمثيل كتب الرسم المصحفي، منها: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين للعلامة الضباع، ص٢٢، ورسم المصحف ونقطه للدكتور عبد الحي الفرماوي، ص ١٧٩، وما بعدها.

يتوصل القارئ إلى قراءة قوله تعالى في فاتحة سورة مريم – عليها السلام –: (كهيعص)، وغيرها، بدون تلقي؛ فالذي يعلم العربية والهجاء، ولكنه لم يتلق القرآن عن شيخ متقن، قد يقرؤها على غير وجهها الصحيح؛ إذ إنَّ النطقَ بها صحيحة يتوقف على التلقي والسماع من قُرَّاءِ القرآن وحفاظه المشتغلين به، وعليه: فاتصال السند من خصائص القرآن الكريم بالنسبة لغيره من الكتب السماوية، وبه ظلَّ محفوظاً كما وعد الله سبحانه وتعالى، وليس يخفى عل كل ذي لب أن الرسم المخصوص له أعظمُ الأثرِ في اتصال السند؛ إذ لو كانت جميع ألفاظه مكتوبة طبق النطق بها؛ لتجرأ الكثيرون على قراءته بغير تلقٍّ، وحينئذ يفوتهم معرفة ما فيه من الطرق الأدائية، والأحكام التجويدية، وغير ذلك.

٢- حفظ قلم الكاتب من الخطأ واللحن في كتابة ألفاظ القرآن الكريم، وذلك بمعرفة قواعد رسم المصحف التى خالف فيها الرسم الإملائى.

٣- الدلالة على الأصل في الشكل والحروف، مثل: كتابة الحركات حروفاً باعتبار أصلها في نحو: ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾[(٢)]، وغير ذلك.

٤- النص على بعض اللغات الفصيحة، مثل: كتابة (هاء التأنيث) بتاء مجرورة (مبسوطة) على لغة طىء، وكحذف ياء المضارعة لغير جازم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾[(٣)] على لغة هذيل.

٥- إفادة بعض المعانى المختلفة بالقطع والوصل في بعض الكلمات القرآنية.

---

(١) سورة النحل: (الآية: ٩٠) .

(٢) سورة الأعراف: (الآية: ١٤٥) .

(٣) سورة هود: (الآية: ١٠٥) .

٦- أخذ القراءات المختلفة من اللَّفظِ المرسومِ برسم واحدٍ، نحو: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[١]، فلو كُتِبَتْ بإثباتِ الألف: (وَمَا يُخَادِعُونَ) لَمَا احتملت القراءةَ الأخرى[٢].

*****

(١) سورة البقرة: (الآية: ٩).

(٢) ينظر: سمير الطالين ص ٢٢، ٢٣.

المبحث الثاني: الرسم المصحفي بين التوقيف والاجتهاد:

هذه القضية شغلت فكر العلماء قديماً وحديثاً، بين مجيز ومانع، فمنهم من قال: إنَّ الرسم العثماني واجب الاتِّباع، ومنهم من ذهب إلى جواز مخالفته، ولكل أدلته على ذلك، وسأعرض – بإذن الله تعالى – فيما يلي بعض أقوالهم، وأدلتهم باختصار.

أولاً: القائلون بعدم توقيفية الرسم المصحفي:

ذهب القائلون بهذا المذهب إلى أن الوحيَّ عند تنزله على النبي ﷺ كان يأمر كُتَّابَهُ بوضع الآيات المنزلة في مواضعها، كما صح عنه ﷺ أنه كان يقول: "ضعوا هذه الآية بالموضع الذي يذكر فيه كذا"(١).

وكان سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم لما تولى سيدنا أبو بكر رضي الله عنه جمع القرآن الكريم كان سيدنا زيد كذلك في هذا الجمع، وكذا في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه. وفي كل ذلك لا يوجد نص عن النبي ﷺ بلزوم كتابة المصحف على رسم معين.

وقد قال الإمام الباقلاني مدعماً هذا المذهب: "وأمَّا الكتابةُ فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً؛ إذ لم يأخذ على كُتَّابِ القرآن، وخَطَّاطِ المصاحف رسماً بعينه دون غيره، أوجبه عليهم، وترك ما عداه؛ إذ وُجُوبُ ذلك لا يدرك إلاَّ بالسمع والتوقيف، وليس في نصوصِ الكتاب ولا مفهومه، أن رسمَ القرآنِ وضبطَه لا يجوز إلاَّ على وجه مخصوص، وَحَدٍّ محدودٍ، لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل؛ لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً، ولا نهى أحداً عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص؛ لعلمه أن ذلك اصطلاح، وأن الناس لا يخفى

---

(١) ينظر في ذلك: مسند الإمام أحمد ١/ ٥٤، والمستدرك للحاكم ٢/ ٣٣٠.

عليهم الحال، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفيه، والخط الأول"[١].

وإلى مثل هذا ذهب الإمام العز بن عبد السلام[٢]، والإمام ابن كثير[٣]، والإمام الشوكانى[٤]، وابن خلدون[٥]، والشيخ محمد طاهر الكردي[٦].

وخلاصة الأدلة في ذلك ما يلي:

١- عدم وجود نص في التزام الرسم العثمانى.

٢- عدم وقوع الإجماع على الرسم العثماني.

٣- عدم إحكام الكتابة، كما قاله ابن كثير، وابن خلدون.

٤- أمية الرسول ﷺ.

٥- اختلاف المصاحف في كتابة بعض الكلمات.

ثانياً: القائلون بتوقيفية الرسم المصحفي:

أجمع سلف هذه الأمة من لدن الصحابة - رضوان الله عليهم- وحتى عصر الأئمة المجتهدين على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني وحرمة مخالفته، وممن حكى ذلك الإمام أبو عمرو الداني؛ إذ يروي بإسناده إلى مصعب بن سعد، حيث قال: "أدركت الناس حين شقق عثمان - رضي الله عنه- المصاحف، فأعجبهم ذلك، ولم يعبه أحد"[٧]. وفي هذا دليل على رضاهم التام على ما يصنع.

---

(١) ينظر: مناهل العرفان ١ / ٣٧٣ (نقله عن الباقلانى ملخصاً من كتاب الانتصار).

(٢) ينظر: البرهان ١ / ٣٧٩.

(٣) ينظر: فضائل القرآن، ص ٤٣.

(٤) ينظر: فتح القدير ١ / ٢٦٥.

(٥) ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص ٤١٩.

(٦) ينظر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه، ص ١٠١.

(٧) ينظر: المقنع، ص١٨.

وذكر الإمام أبو عمرو الداني، وابن رشد، وأبو بكر الطرطوشي: أن الإمام مالكاً سئل: "هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلاَّ على الكِتْبَةِ الأولى"(١). وقد علق الإمام الداني بعد أن روى هذا الأثر بقوله: "ولا مخالف له من علماء الأمة"(٢).

وقال الإمام أحمد: "يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو، أو ياء، أو ألف، أو نحو ذلك" اهـ(٣).

وجاء في حواشي المنهج - في فقه الشافعية-: "أن كلمة: (الرِّبَوا) تكتب بالواو والألف، كما جاء في الرسم العثماني، ولا تكتب في القرآن بالياء، أو الألف؛ لأن رسمَه سنةٌ متبعة"(٤).

وجاء أيضاً في كتاب المحيط البرهاني - في فقه الحنفية- ما نصه: "إنه ينبغي ألاَّ يكتب المصحف بغير الرسم العثماني"(٥).

وقال البيهقيُّ - في شعب الإيمان- ما نصه "من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً، ولساناً، وأعظم أمانة، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم"(٦).

وقد استدل أيضاً على توقيفية رسم المصحف الشريف بأمور منها:

---

(١) ينظر: المقنع، ص١٩، والبيان ١٨/ ٣٥٤، والحوادث والبدع، ص١٠٢.

(٢) ينظر: المقنع، ص١٩.

(٣) ينظر: الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٩٥.

(٤) ينظر: الفتاوى الهندية ٥/ ٣١٦.

(٥) ينظر: الفتاوى الهندية ٥/ ٣١٦.

(٦) ينظر: شعب الإيمان ٢/ ١٤،١٥.

١- أنَّ القرآن الكريم كُتِبَ كلَّه بين يدي رسول الله ﷺ بإملائه على كَتَبَتِهِ رضي الله عنهم، وقد أقرَّهم ﷺ على ذلك؛ وتقريره ﷺ أحد وجوه السنن المعروفة.

٢- إطباق القراء العشرة على إثبات الياء في قوله تعالى: (وَاخْشَوْنِي) [البقرة: ١٥٠]، وحذفها في موضعي المائدة، وغير ذلك مما خولف بين نظائر مختلفة بالحذف والإثبات والزيادة والنقصان، فلو كان الرسم بالاجتهاد لما خولف فيه بين هذه النظائر والمتشابهات.

ولعل قائلاً يقول: هذا من تعدد كُتَّاب الوحي؛ فإنهم لم يكونوا سواء في الحذق بالهجاء، فمن ثَمَّ نشأ هذا الاختلاف.

وجواب ذلك: أنه لو كان الأمر على ما يزعم هؤلاء؛ لناقش الصحابة - رضوان الله عليه- بعضهم بعضاً في هذا، ولاسيما أن الأمر يتعلق بالأصل الأول للإسلام، وكذا توفر الدواعي لحرية الرأي في هذا العصر، وعليه: فعدم وجود مثل هذا دليل على غيابه بينهم.

٣- أنه لما انتقل الرسول ﷺ إلى جوار الرفيق الأعلى، كان القرآن مكتوباً في الصحف وغيرها، وقد أجمع الصحابة - رضوان الله عليهم- على هذا الرسم، وبخاصة الخلفاءُ الراشدون؛ إذ لم يخالف في ذلك أحدٌ، وإجماعهم بلا شك حجة؛ لحث الرسول على الاقتداء بهم.

*****

المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية على التاء المفتوحة، والمربوطة:

البعضُ مِنَّا قد يفهمُ أَنَّ الإعجازَ البيانيَّ مقتصرٌ على المعاني البلاغية، في علومها: البيان والمعاني، والبديع ... أبداً؛ فالإعجازُ البيانيُّ أوسعُ من ذلك؛ فكلُّ إعجازٍ لغويٍّ يسمى إعجازاً بيانياً، وما اصطَلح عليه العلماء بعد ذلك في القرن السادس أو السابع الهجري ـ من تقسيم علوم البلاغة إلى بيان، ومعان، وبديع ـ تقسيم متأخر؛ إذ الإعجازُ البيانيُّ بالمعنى الواسع هو الذي بحثه العلماء فأوضحوا مُلَحَهُ.

وقد تَّطرق العلماءُ إلى بحث أنواع أُخَر فظهر من ذلك الإعجاز التشريعي، والعلمي، والصوتي، وغير ذلك.

وقد آثَرْتُ في بحثي هذا أن نتعايشَ مع: (**لطائف وإشارات من رسم المصحف الشريف**) لا سِيَّما أني خادم لحُفَّاظِ كتاب الله تعالى الذين أُشْرِبَتْهُ قلوبُهم، وَأُنِيرَتْ به أبصارُهم، وَأُطِيلَتْ ببركة تلاوته أعمارُهم، فجمعوا بين حفظ الصدور والسطور؛ لذلك سيكون كلاَمَي بإذن الله تعالى منصباً على جزئيةٍ مهمة، وهي: كتابة الكلمة القرآنية بخط المصحف الشريف، وما يتعلق بذلك من سمات ودلالات.

ومِنَ المقرَّرِ أن القرآنَ الكريم معجزٌ في لفظه، ولا خلاف في ذلك بين العلماء ؛ إذ لا يمكن أن تضعَ كلمةً مكان أُخرى؛ لأن لكلِّ كلمةٍ في موضعها معنىً لا يمكن لكلمةٍ أُخرى أن تؤديه، فكل كلمة لها من الدلالة الصوتية والأدائية ما لا يمكن أن تؤديه كلمة أخري على الإطلاق، وليس هذا إلا لكلام الله تعالى المعجز[1]، مع أن بعض العلماء يرى خلاف ذلك ويقول بترادف بعض الألفاظ، ويرى ذلك من ثراء اللغة، فالإنسان لا يرى بعين واحدة، وإنما يرى بعينين، وهذا الرأي على خلاف وجهة نظر من يقولون بعدم الترادف، ولو أردنا أن نضربَ أمثلةً لذلك لطال بِنَا الكلامُ. والمقامُ لا يَسَعُهُ؛ لأني ما قصدت إلاَّ التمهيد للحديث عن بعض اللَّطائف في كتابة المصحف الشريف، وإن شئت فقل: (من

---

(١) هذا من وجة نظري؛ لأن البعض قد لا يرى ذلك إعجازاً.

خصائص الرسم العثماني لطائف وإشارات)، وَسَنُعَرِّجُ ـ بإذن الله تعالى ـ على بعض الأمثلة للإعجازِ العام؛ وصولاً إلى هذا الإعجاز الخاص في قضية شك البعض فيها، بل شكَّكَ البعض في رسم المصحف، وسنؤكد ـ بإذن الله تعالى ـ في هذه الأوراق على أن رسم المصحف هو إعجاز بكل المعاني. واللهُ مِنْ وَرَاءَ الْقَصْدِ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل.

وأبدأ الحديث بضرب مثال يؤكد على الإعجاز اللُّغوى في اللَّفظة القرآنية من ناحية ترادفها وعدمه؛ كما أشرت إلى ذلك[١]، ومن أمثلة ذلك كلمةُ: (امْرَأَةٌ) و(زوجة)، حيث يرى البعضُ أن كلمة: (امْرَأَةٌ) تُؤَدِّى معنى كلمة: (زَوْجَةٌ)؛ إذ إنك تجد أحدهم يقول: "فُلاَنٌ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَتِهِ"، أو يقول: "هَذِهِ امْرَأَتِي"، وآخر يقول: "هَذِهِ زَوْجَتِي". والبعض قد يظن أن كلمة: (امْرَأَةٌ) تساوى كلمة: (زَوْجَةٌ)، في حين أن كلمة: (امْرَأَةٌ) لها معنىً، وأن كلمة: (زَوْجَةٌ) لها معنىً أخر. فكلمة: (امْرَأَةٌ) في اللُّغة مأخوذة مِنَ المُرُوءَةِ، وكلمة: (زَوْجَةٌ) مأخوذة من المزاوجة، أي: (الاِقْتِرَان)، وعلماءُ اللُّغةِ يقولون[٢]: "إِنَّ كَلِمَةَ امْرَأَةٍ بِمَعْنَى كَلِمَةَ زَوْجٍ"[٣].

---

(١) وأنا من الذين يقولون بعدم ترادف ألفاظ القرآن الكريم.

(٢) ينظر: الصحاح لأبي نصر الجوهري، ص٥٦٩ مادة: (مرأ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، ط: [١] (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، ت: شهاب الدين أبو عمرو، وتاج العروس للزبيدي ١/ ٤٢٧ مادة: (مرأ)، دار إحياء التراث الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان، ط: [١] (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، ت: الأستاذ إبراهيم الترزي.

(٣) بالمناسبة كلمة: (زوج) تصلح أن تقال للرجل والمرأة، والأفصح أن تقال للمرأة، وأما (زوجة) فهي لغةٌ قليلة، والأفصح أن يقال لها: (زوج)، وفي هذا رد على من يقولون بأن الإسلام يفضّل الرجل على المرأة؛ فعندما عبر القرآن عن الزوجية ساوى بينهما في اللفظ؛ ولم يفرق بينها وبين الرجل، فجعل لفظ الزوج دلالة على المرأة ودلالة على الرجل أيضاً. ينظر: الكليات للكفوي، ص٤٨٦، دار مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان (بدون تاريخ طبع) ت: الأستاذ عدنان درويش وصاحبه.

وعليه: فهل كلمة: (امْرَأَةٌ) تساوي كلمة: (زَوْجَةٌ)؟ وهل عندما تقول: "امْرَأَةُ فُلَانٍ" تساوى في الدلالة كلمة: (زَوْجَةُ فُلَانٍ) من حيث المعنى، والدلالةُ اللَّفظية؟ نعرف إجابة ذلك من خلال النظر في كتاب ربنا سبحانه وتعالى.

فلو أَمْعَنْتَ النظرَ فيه؛ لوجدتَّ أن المرأةَ تختلفُ عن الزوجِ، فلكي تسمى المرأةُ بالزوج أو بالزوجةِ لاَ بُدَّ من شرطين اثنين أصيلين:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أن توافقَ المرأةُ زوجها في عقيدة الإيمان.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أن تُنْجِبَ مِنْ زوجها الَّتي هي في عصمِتِه.

فإذا اتَّفَقَ الزوجان في الإنجابِ والعقيدةِ تسمي المرأةُ زوجةً، وإذا انْخَرَمَ شرطٌ من الشرطين السابقين تسمى امرأةً فقط دون زوجةٍ.

وعلى هذا لا تسمى المرأةُ زوجةً إلاَّ إذا تَوَفَّرَ فيها هذان الشرطان السابقان، وهنا يطرح السؤال نفسه: كيف نسقط هذا على كتاب الله عز وجل؟ وأين هو فيه؟

من ينظرْ في الكلام العربيِّ يجدْ أن العربَ تُسمي المرأةَ: (زوجةً)، وتسمي الزوجةَ: (امرأةً)؛ لكنَّ القرآنَ الكريم أراد أن يقول للعرب: أنتم تقولون، وتستعملون في العربية ما تشاؤن، لكنِ استعمالُ الله تعالى في القرآن الكريم له دلالاتٌ أُخَرُ، ومعانٍ تميِّزه عن استعمالاتكم. صحيحٌ أن العربَ تستعمله، لكن هنا إضافة في أن القرآن الكريم فَرَّقَ بَيْنَ معنى: (امْرَأَةٌ)، و(زَوْجٌ).

انظر معي ـ هدانا اللهُ وإيَّاكَ الصَّوابَ ـ إلى حديث القرآن الكريم عن (ٱمْرَأَتَ نُوحٍ)، (وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ) مع الإنجاب، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾(١)، وفي قصة لوط قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾(١).

---

(١) سورة هود، من الآية: (٤٢).

إذن: يوجد إنجاب، ومع ذلك سمى الله: (ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ)، (وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ): المرأة، ولم يسمها: زوجاً، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾[٢]؛ وذلك لخلافٍ في العقيدة، فلم يطلق عليها (زوجة).

وانظر أيضاً إلى الحديث عن سيدنا زكريا عليه السلام حيث قال تعالى عن ذلك: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴾[٣]، ارجع البصر إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي ﴾ وكانت: (ٱمۡرَأَتِي)، لم يسمها: (زَوْجَتِي)، وهي زوجة نَبِيٍّ، وهي على الإيمان، لكن فُقِدَ شَرْطُ الإنجاب.

وكذا مع (ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ)، (وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ)، حيث حدث الإنجاب، ولم يحدث الإيمان. تأمله بدقة.

وكذا: (آسِيَةُ امْرَأَتْ فِرْعَوْنَ)، حيث قال الله تعالى عنها: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ ﴾[٤] فسمَّاها: (ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ)، مع أن كُتُبَ التاريخ تَرْوِي وجودَ أبناء لها، فعدل عن تسميتها زوجة؛ لأنها مؤمنة، وستكون زوجة نبينا ﷺ في الجنة.

---

(١) سورة الحجر، من الآية: (٧١) .

(٢) سورة التحريم، من الآية: (١٠) .

(٣) سورة مريم، الآيتان: (٤،٥).

(٤) سورة القصص، من الآية: (٩).

وكذا (زُلَيْخَةُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ)، حيث قال القرآن الكريم عنها: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾[1]؛ لأنها لم تنجب، وأيضاً علَّلُوا ذلك بأنها ستكون زوجة سيدنا يوسف عليه السلام بعد ذلك. إذن: المرأة هنا اختلف وصفها.

ثم ننتقل إلى واقع آخر؛ لنؤكدَ على أنَّ المرأةَ إذا اكتملَ فيها الإيمان والإنجاب سميت: (زوجة) قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾[2]، سماها: (زوجة)، ولم يقل (امرأته). وفي هذا دلالة قاطعة على أن الكلمة القرآنية معجزة في اختيارها. ولكني الآن لن أتطرق لهذا الموضوع بالتفصيل، بل سنعرض له إذا كان في العمر بقية في بحث قادم - إن شاء الله تعالى- وتعرضنا له؛ وصولاً إلى قضية تشغل بَالَ أهلِ القرآن الكريم خصوصاً، وغيرهم عموماً.

أخي – حافظَ القرآنِ الكريم- أَلاَ يُشْغَلُ بَالُكَ وأنت تقرأُ في المصحف الشَّريف أنك تجد بعضَ ألفاظ القرآن كتب برسم يخالف الرسم الإملائيَّ؟

ومن المعلوم – كما سبق ذكره - أن من خصائصِ الرسم الإملائيِّ: كلَّ ما ينطق يكتب، وليس هذا مطرداً في قواعد الرسم العثماني؛ إذ في القرآن الكريم ألفاظٌ خالفت هذا الرسم الإملائيَّ، وسنعرض لها فيما بعد بإذن الله تعالى.

ومن الجدير بالذكر – هنا - أنَّ بعضَ الناسِ قد شَكَّكَ ـ هداهم الله ـ في خصائص الرسم العثماني، ويقولون: إن هذا عدم علم من الصحابة - رضوان الله عليهم - بالكتابة، ولقلة أدواتها وأيضاً للأميَّة التي كانت سائدة في زمنهم! وهذا كلامٌ لا يليق أبداً بأطهر جيلٍ، وأفضل صحبة، ولا يَحِقُّ لابن خلدون، ولا غيرِه أن يصف هؤلاء الأطهار الأبرار بعدم العلم؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ في كتابته جمع بين الرسمين: الإملائيِّ، والعثمانيِّ: بل إنَّ الرسمَ الغالبَ هو الرسمُ

---

(١) سورة يوسف، من الآية: (٥١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية:(٨٩- ٩٠).

الإملائيُّ، والألفاظ التي خرجت عنه قليلة، كما سبق أن أشرت إلى ذلك في بحث الرسم العثماني بين التوقيف والاجتهاد.

وهذا الموضوع – المهم – قد تعمدت شرحه؛ ليستطيع حفاظ القرآن الكريم أن يردوا على استفسارات العوام، وغيرهم حول رسم بعض الكلمات القرآنية؛ إذ قد يسأل سائلٌ: لماذا كُتِبَتْ كلمة: (رَحْمَة) مرة بالتاء المفتوحة، وأخرى بالتاء المربوطة؟ ولماذا كتبت كلمة: (نِعْمَت) بالتاء المربوطة، وأخرى بالتاء المفتوحة؟ ولماذا كتبت كلمة: (امْرَأَة) مرةً بالتاء المفتوحة، وأخرى بالتاء المربوطة؟ وسنعرض لهذا بالتفصيل ـ إن شاء الله تعالى ـ فيما يلي.

وعليه فَالرَّسْمُ المُصْحَفِيُّ، أو الْعُثْمَانِيُّ هو: ما كَتَبَتْ به الصَّحَابَةُ ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ المصاحفَ، وَأَكْثَرُهُ موافق قواعدَ الرسم الإملائيِّ، إلاَّ أنه خالفَ في أشياء لها حِكَمٌ وأسرارٌ تحقَّقت عندهم، عَلِمَهَا مَنْ عَلِمَهَا وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا، وفي هذا دلالةٌ على أنهم كانوا الغايةَ القُصْوَى في الفطنة والذكاء، وقد سبقت الإشارة لذلك.

ومن أمثلة ذلك كلمة: (صَاحِبُهُ) مُكَوَّنَةٌ مِنْ: (صاد، وألف، وحاء، وباء، وهاء)، وأنت تقرأ قَوْلَهُ تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾[1]، فتجدُ أن كلمة: (صَاحِبُهُ) كُتِبَتْ مرة بالألف، ومرة بدون ألف[2].

وقد أطلق العلماءُ على هذه المسائلَ: قَوَاعِدَ رَسْمِ المُصْحَفِ، وهي ست لمن له دراسة بعلوم القرآن الكريم، وقد سبقت الإشارةَ إليها.

ومن هذه القواعد – التي معنا – الخلاف الدائر بين التاء المفتوحة، والتاء المربوطة. فالتاء المفتوحة إذا وقفت عليها تقف بالتاء إلاَّ عند بعض القراء، قال عن ذلك الإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) رحمه الله:

إِذَا كُتِبَتْ بِالتَّاءِ هَاءُ مُؤَنَّثٍ *** فَبِالْهَاءِ قِفْ حَقًّا رِضًى وَمُعَوِّلاَ[1].

---

(١) سورة الكهف، من الآية: (٣٧).

(٢) أي: الألف الخنجرية، ولذلك أَحْكَامٌ تذكر في محلِّها بإذن الله تعالى.

لكن عندما أقرأُ في المصحفِ كلمةَ: (نعمت) بتاء مفتوحة أقف عليها بالتاء، فأقول: (نعمتْ)، ولو كانت مكتوبة بتاء مربوطة أقف عليها بالهاء: (نعمَهْ). إذن: عند الوقف يتضح الفرق، بأن التاء المفتوحة تقف عليها بالتاء، وأن التاء المربوطة تقف عليها بالهاء. والمصطلح: (التاء المفتوحة)،من الممكن تسميته : (التاء المبسوطة أو المجرورة) و(التاء المربوطة)، ومن الممكن تسميته: (قبض)، و(بسط).

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الكلمات بالتاء المربوطة، والمفتوحة؛ ومن ذلك كلمة: (امرأة) و(نعمة)، و(رحمة)، و(معصية)، و(لعنة)، وغيرها من الألفاظ، وهذا باب مهم في التجويد، ينبغى الرجوع إليه، والوقوف على هذه المواضع بدقه.

أيها القارئ الكريم: ألم يأت في خاطرك: لماذا رسمت هذه الكلمات بالتاء المفتوحة في مواضع، وبالتاء المربوطة في مواضع أخرى؟ أَلاَ يستوقفك

---

(١) متن الشاطبية، بيت رقم: (٣٧٨)، مكتبة ابن الجزري ـ دمشق، ط: [١] (٢٠١٢م)، ت: الدكتور أيمن سويد. ومعنى البيت كما قاله الشيخ القاضي (ت ١٤٠٣هـ) رحمه الله: "أن هاء التأنيث التي رسمت في القرآن الكريم بالتاء المفتوحة، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو ، والكسائي، مخالفين في ذلك أصلهم، وهو اتباع رسم المصحف، ووقف الباقون على هذا القسم بالتاء، متابعين= أصولهم في ذلك، وهي مسايرة خط المصحف. وقد تكفّل علماء التجويد ببيان الكلمات التي رسمت في المصاحف بالتاء، وبيان الكلمات التي رسمت بالهاء، فمثال ما رسم بالتاء: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦]، ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [فاطر: ٣]. ومثال ما رسم بالهاء: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ﴾ [هود: ١١٦] "اهـ. ينظر: الوافي للقاضي، ص١٨٠.

عندما تفتح المصحف، وتقرأ كلمة: (رحمة) بالتاء المفتوحة، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾[١]. وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[٢] بالتاء المربوطة؟ ألا يسترعي ذلك انتباهك؟ بل في سورة مريم ـ عليها السلام ـ في أول موضع ورد قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾[٣] بالتاء المفتوحة، بعدها في الحديث عن سيدنا عيسى عليه السلام ورد قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾[٤] بالتاء المربوطة، وبحسب طبعة الشمرلي: الآية الأولى في السطر الثاني قبل آخر الصفحة، والآية الأخرى في أول الصفحة على الشمال في السطر الثاني ـ يعني بعد (١٥ سطر) ـ مع هذه المسافة القصيرة، ما غاب عن الكاتب الذي كتب هذا، وكتب هذا؛ لكن كتب هذا بالتاء المفتوحة، وكتب هذا بالتاء المربوطة[٥].

وهكذا كتب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وجاء من بعدهم التابعون، وأجمع الكل على هذه الكتابة، ولا يستطيع أحد أن يغير في رسم المصحف مطلقا.

وهنا أقول: لاَ بُدَّ أن نفهم المراد من مجيء هذه الكلمة في موضع بالتاء المفتوحة، وفي موضع آخر بالتاء المربوطة.

---

(١) سورة البقرة، من الآية: (٢١٨).

(٢) سورة الزمر، من الآية: (٥٣).

(٣) سورة مريم، من الآية: (٢).

(٤) سورة مريم، من الآية: (٢١).

(٥) أي: ما طالت المسافة بين الموضعين، حتى ينسى الكاتب طريقة الكلمة الأولى، حتى يغير في كتابتها في الثانية.

ونبدأ بالتمثيل بكلمة: (امرأة): فمن المعلوم أن كل: (امرأة) جاءت مضافة إلى زوجها في القرآن الكريم تكتب بالتاء المفتوحة، نحو: ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾[١]، ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾[٢]، أليس كذلك؟ ثم تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾[٣] بالتاء المربوطة. التاء المفتوحة في كلمة: (امرأت) في الأمثلة السابقة تدل على ذات معينة مخصصة لا يشترك معها غيرها، فمن أين أخذنا التخصيص؟

والجواب عن ذلك هو: من إضافتها إلى زوجها: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ امرأة واحدة، ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ امرأة معينة، لكن تعالوا معي إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾، هل هذا عام في كل امرأة؟ أم هذا خاص بامرأة بعينها؟ أي امرأة: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا﴾، فكل امرأة يقع لها هذا الخوف على العموم. إذن: التاء المفتوحة ماذا صنعت؟ وماذا بينت؟ بينت أنها تتحدث عن امرأة مخصوصة؛ وتأكيداً لذلك ـ أن التاء المربوطة تدل على العموم ـ أورد مثالاً آخر: قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ﴾[٤].

هذا حكم خاصٌّ أم عامٌّ؟ الجواب هو: حكم عام. ومن ذلك فهم أن كلمة: (امرأة) الذي جاء بالتاء المربوطة هي حكم عام، أما ما جاء بالتاء المفتوحة فحكم خاص.

---

(١) سورة التحريم، من الآية: (١١).

(٢) سورة يوسف، من الآية: (٣٠).

(٣) سورة النساء، من الآية: (١٢٨).

(٤) سورة النساء، من الآية: (١٢).

وتعالوا نأخذ كلمة: (لعنت) في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[١]، حيث كتبت بالتاء المربوطة، والمفتوحة، والسؤال هنا كم مرة وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بالتاء المفتوحة؟

الجواب: في موضعين آل عمران، والنور، قال الله تعالى: ﴿ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[٢]، فكلمة: (لعنتْ) إذا وقفت عليها تقول: (لعنتْ) بالتاء مع مراعاة الهمس، وإذا وصلتها تقول: (لعنتَ) بالتاء كذلك.

وفي سورة النور عند الحديث عن قصة الملاعنة، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[٣]، وعليه فباقي المواضع في القرآن الكريم بالتاء المربوطة. فهل يناسب أن أقول: هؤلاء الصحابة – رضوان الله عليهم – كتبوها في موضع بالتاء المربوطة، وغاب عنهم أنها بالتاء المفتوحة في آل عمران، والنور؟ وهذا لا يجوز عليهم. إذن: كل المواضع في القرآن الكريم بالتاء المربوطة إلاَّ في موضعين. لماذا؟

معلوم أنه إذا كانت الكتابة بالتاء المربوطة في كل القرآن فهذه قاعدة، ولا إشكال فيها؛ لأنها جاءت على الرسم الإملائيِّ، لكن لماذا موضع آل عمران، والنور بالتاء المفتوحة؟ مع وجود مواضع أخرى في القرآن جاءت فيها كلمة: (لعنة) بالتاء المربوطة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤]. فلماذا اختلف الرسم؟

---

(١) سورة البقرة، من الآية: (١٦١).

(٢) سورة آل عمران، من الآية: (٦١).

(٣) سورة النور، من الآية: (٧).

(٤) سورة الأعراف، من الآية: (٤٤).

أقول – وبالله التوفيق–: الربط علامة على الإغلاق، والإغلاق متى يفتح؟[١]. فهل يتصور أن الصحابة – رضوان الله عليهم– لما كتبوا هذه الكلمة كتبوها عبثاً، أو سُدّىً، أو عن غير علم. لا، ودليل ذلك أن الآية التي في سورة آل عمران تتحدث عن المباهلة مع نصارى نجران – الذين جاءوا إلى المدينة– إذ دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فصار هذا نوعاً من الحجاج والمجادلة، وقد انتهى إلى ما يسمى بالمباهلة[٢].

وعليه: لما كان الحديث عن لعنة يقع أَثَرُهَا في الدنيا – في الواقع المُعَاشِ–؛ لأن ذلك هو الأمر الفاصل في أمر المباهلة مع نصارى نجران، قال الله تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾. فهل قبلوا بالمباهلة؟

الجواب: لا. لماذا؟ لإدراكهم أنَّ العقابَ سيقع عليهم في الدنيا. إذن: كلمة: (لعنت)في سورة آل عمران بالتاء المفتوحة؛ إشارة إلى أن اللعنةَ ستقع في دنيا الناس، وتشاهد ويراها الإنسان، أو يدرك أثرها.

وفي أمر الملاعنة في سورة النور بين امرأة وزوجها، فهو يَتَّهِمُها بالزنا، قال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ . ماذا يحدث؟ وقوع عقاب بالفصل بين الزوجين، إذن: هو الآن عرّض نفسه لعقاب دنيوي، وهو فصل الزوجية بينه وبينها. إذن: لما كَتَبَ الكُتَّابُ كلمة: (لَعْنَت) في سورة آل عمران، وفي سورة النور؛ بالتاء المفتوحة؛ لَمْلَمَح يرون فيه أن اللعنة تقع هنا في الدنيا، بخلاف غيرها حيث تقع في الآخرة.

وننتقل إلى كلمة: (رحمة)، حيث وردت في القرآن الكريم على هيئات عدة منها: أن تكون مفردة مقطوعة عن الإضافة، يعنى لا تضاف إلى اسم، ولا إلى ضمير، ولا إلى لفظ الجلالة، ولا إلى كلمة: (رَبّ)، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) بالتأكيد سيكون ذلك في الآخرة.

(٢) وهي: عبارة عن دعاءٍ مراده أن يُنزل الله العقوبة على من هو كاذب في الحال.

تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[٢]، هذه بلا خلاف في كل القرآن بالتاء المربوطة، ولا إشكال فيها. أما إذا أضيفت إلى لفظ الجلالة: (الله)، أو إلى كلمة: (رَبّ). فبعض المواضع جاء بالتاء المربوطة، وبعضها بالتاء المفتوحة. فتعالوا نتأمله سوياً.

انظر إلى التاء في كلمة: (رحمة) في قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾[٣] تجدها قد رسمت بالتاء المفتوحة، وفي المقابل تجد كلمة: (رحمة) في قول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾[٤] جاءت بالتاء المربوطة.

تأمل! لماذا وردت هناك مفتوحة، وهنا مربوطة؟ وفي سورة الحجر قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[٥] التاء أيضاً مربوطة، وفي سورة الزخرف، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[٦] التاء مفتوحة ـ هذان موضعان للتاء المفتوحة ـ وفي سورة الزخرف أيضاً: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٧]، وفي موضع رابع: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾[١]. وأيضاً فتحت التاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة، من الآية: (١٧٨).

(٢) سورة الأنعام، من الآية: (٥٤).

(٣) سورة البقرة، من الآية: (٢١٨).

(٤) سورة الإسراء، من الآية: (١٠٠).

(٥) سورة الحجر، من الآية: (٥٦).

(٦) سورة الزخرف، من الآية: (٣٢).

(٧) سورة الزخرف، من الآية: (٣٢).

وبقي موضعان: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾[٣]. وبقي الأخير، وهو: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ ﴾[٤]. إذن: هذه مواضع سبعة في القرآن الكريم وردت فيها كلمة: (رحمة) بالتاء المفتوحة.

وتعالوا معي إلى بعض المواضع التي جاءت فيها كلمة: (رحمة) بالتاء المربوطة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾[٦]. وقوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٨]. إذن: نحن أمام كلمة: (رحمة): أضيفت إلى لفظ الجلالة، وإلى: (رَبّ) وجاءت في بعض المواضع بالتاء المربوطة، وفي البعض الأخر بالتاء المفتوحة والسؤال: ما الفرق بين كونها تأتي مربوطة هنا، أو مفتوحة هناك؟ الإجابة:

---

(١) سورة مريم، من الآية: (٢).

(٢) سورة الأعراف، من الآية: (٥٦).

(٣) سورة الروم، من الآية: (٥٠).

(٤) سورة هود، من الآية: (٧٣).

(٥) سورة الحجر، من الآية: (٥٦).

(٦) سورة الإسراء، من الآية: (١٠٠).

(٧) سورة ص، من الآية: (٩).

(٨) سورة الزمر، من الآية: (٥٣).

الرحمة أنواع: (رحمة موجودة واقعة)، و(رحمة مدخرة)، و(رحمة حادثة) و(رحمة محفوظة) .. ويدلل على هذا قول النبي ﷺ : "إِنَّ لله مَئِةَ رَحْمَةٍ أَنْزلَ مِنْهَا جُزْءًا وَبِهِ يَتَرَاحَمُ النَّاسُ وَاحْتَفَظَ لِنَفْسِهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ"[١]، يعني الموجود من الرحمة كلِّها جزءٌ من مئة ...رحمة واقعة متحدث بها لها أثرها، ورحمة مدخرة إلى يوم القيامة، قال تعالي: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ﴾[٢]، التاء جاءت مفتوحة. دعنا نتأمل أيضاً قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾[٣]، ما الرحمة المطلوبة هنا حتى جاءت التاء مفتوحة؟ سيدنا زكريا عليه السلام طلب من رَبِّه الولدَ، وَقَدَّم الأسبابَ لعدم الإنجاب فقال تعالى عن ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾[٤] انتبه، حيث قال: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾، ولم يقل: (ضعف العظم)؛ وَفَرْقٌ بين أن يقال: (ضعف العظم) و(وهن العظم)، أنتم ـ معشرَ حفاظ القرآن الكريم ـ تعرفون أن: (ضعف) فيها حرف الضاد، والضاد معظم صفاته قوية، فهو من حروف القوة، يعني أن كل إنسان منا مع قوته فيه ضعف، فقد يكون قوياً في ذراعية ضعيفاً في قدميه، وقد يكون قوياً في قدميه ضعيفاً في ذراعيه، كل إنسان عنده منطقة قوة، ومنطقة ضعف، فلم يقل ضعف؛ لأن الضعف سمة موجودة مع القوة، لكن حتى الكلمة لم يرد فيها حرف يُدَلِّلُ

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم: (١١٥٣١)، والبخاري في كتاب الأدب برقم: (٦٠٠٠) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧٥٢)، وابن ماجه برقم (٤٢٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وانزل في الأرض جزءًا واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه" ورواه مسلم عن سلمان مرفوعاً برقم: (٢٧٥٣)، ورواه أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً برقم: (١١٥٣٠).

(٢) سورة مريم، من الآية: (٢).

(٣) سورة مريم، من الآية: (١ـ٢).

(٤) سورة مريم، من الآية: (٤).

على وجود بعض القوة؛ إذ إن: (وَهَنَ) الواو والهاء والنون كلها حروف ندرت صفات القوة ... إذن: لم يبق في جسد سيدنا زكريا عليه السلام ما يقال له قوة ـ الله أكبر ـ ومع ذلك قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾، تأمل! الوهن هنا: وُصِفَ به العظمُ الذي هو بطبيعته قوي، فما بالك بغيره من الجسم؟ وقال: ﴿ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾. إذن: سيدنا زكريا عليه السلام دخل على ربه من باب الدعاء؛ لأن أسباب الإنجاب عنده ضعيفة، وعند امرأته أضعف: حيث قال: ﴿ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾، ومع ذلك قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[1]، ماذا حدث؟ رَحِمَ اللهُ دعاءَ زكريا عليه السلام، قال تعالى مستجيباً له: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾[2]، بناء على هذا حدثت الرحمة، ووقعت أم لا ؟ وقعت. إذن: فتح التاء دلالة على وقوع الرحمة من الله لسيدنا زكريا عليه السلام ويمكن أن يكون ذلك لغيره إذا ألحَّ على الله في الدعاء. وعليه: فالرحمة موجودة أم لا؟ لها أثر في الواقع أم لا؟

وتعالوا ننتقل إلى الحديث عن سيدنا عيسى عليه السلام، وأيضاً في نفس السورة، حيث قال تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾[3]، فالتاء مربوطة، ومع سيدنا زكريا عليه السلام جاءت كلمة: (رحمة) بالتاء المفتوحة، وهي: رحمة وقعت، ويمكن أن يحدث ذلك لغير سيدنا زكريا عليه السلام وفى وقوع الفعل دليل على وجود الأثر، وعندما يطلب، أو يلح الداعي فالله يستجيب له مع فقدان أسبابه؛ لكن قصة سيدنا عيسى عليه السلام لن تتكرر في الواقع البشري، ولن يحدث لها نظير آخر، فجاءت كلمة: (رحمة) بالتاء المربوطة المغلقة مع أنها منصوبة، ولا تدخل في

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: (٣٩).

(٢) سورة مريم، من الآية: (٧).

(٣) سورة مريم، من الآية: (٢١).

القاعدة، ولكن يمكن أن نأخذ منها إشارة إلى أن ذلك حدثٌ لن يقع، وأغلق على سيدنا عيسى عليه السلام ولن يكون لغيره. إذن: كلمة: (رحمة) هنا بالتاء المفتوحة له دلالة ينبغي أن يُنظر إليها، وأن تَبحث عنها، هذا يجعلك تنظر إلى كل كلمة رسمت في القرآن الكريم وتتأمل فيها. وهذا قصدنا.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾[1] يرجون ماذا؟ يرجون الفتح .. يرجون النصر .. يرجون العون، أليس كذلك؟ وحدث للمسلمين أم لم يحدث؟ حدث ... إذن: رحمة الله الواقعة للأمة من نصر، وفتح، عُبِّر عنها بالتاء المفتوحة.

ونأتي إلى موضع آخر، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾[2].

انظر معي إلى قوله: ﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ ﴾.. كيف عبر عن هذا الإمساك؟ الجواب: بالتاء المربوطة؛ لأن هذه الرحمة مخزونة. إذن: عبر عنها بما يناسب أنها محفوظة ومخزونة.

وتعال معي نتكلم عن موضع الزخرف، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[3]، يتحدثون عن النبوة، كانوا يتمنون أن تنزل النبوة على رجل من ثقيف أو من قريش: كعروة بن مسعود، أو عمرو بن عبد ياليل، هم لا ينكرون النبوة، فقط يتمنون أن تكون عند كبارهم قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾، الكلام هنا والإنكار في ماذا؟ في شخص من نزل عليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ أَهُمْ

---

(١) سورة البقرة، من الآية: (٢١٨).

(٢) سورة الإسراء، من الآية: (١٠٠).

(٣) سورة الزخرف، من الآية: (٣١).

﴿ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[١]، عبر عن حدث وقع، ألاَ هو: نزول القرآن الكريم، والنبوة، فاختار لها التاء المفتوحة (رحمت).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[٢]، يتحدث عن ماذا؟ عن نزول المطر .. المطر نازل .. آثاره في الأرض واقعة، وهو الإنبات.

إذن: عندما كان أثر الرحمة واقعاً وحادثاً اختير فتح التاء؛ دلالةً على وقوع الفعل، لكن إذا كان الحديثُ عن رحمةٍ مدخرةٍ للأمة، كما في قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[٣]، أي في الآخرة؛ جاءت التاء مربوطة.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[٤]، هم الآن في الأصل مُبعَدون عنها محرومون منها؛ فلم يُر أثر الرحمة عندهم، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾، لأن هذه الرحمة في الآخرة.

وانظر أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، المُسْرِفُ على نفسه أذنب وارتكب معاصي، يرجو رحمة الله في الدنيا أم في الآخرة، ويأمل المغفرة بالتأكيد في الأخرة، فكان الجواب من الله تعالى: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[٦].

---

(١) سورة الزخرف، من الآية: (٣٢).

(٢) سورة الروم ، من الآية: (٥٠).

(٣) سورة الأنعام ، من الآية: (٥٤).

(٤) سورة الحجر، من الآية: (٥٦).

(٥) سورة الزمر، من الآية: (٥٣).

(٦) سورة الزمر، من الآية: (٥٣).

خذ مثالاً آخر بالنسبة لكلمة: ﴿ رَّحْمَةِ ﴾ قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ ﴾[1]، القصة كانت مع السيدة سَارَّةَ وسيدنا إبراهيمَ عليه السلام وقوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾[2]، هذا أمر عجيب، عجوز عقيم، قال الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾[3]، الرحمة وقعت هنا أم لا؟ وقعت. والتاء مفتوحة، قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾.

إذن: أستطيع أن أخرج من هذه الأمثلة بأن التاء المفتوحة دليل على أن الرحمة قد وقعت، وحدث لها أثر، وأن التاء المربوطة دلالة على أن الرحمة مخزونة، أو موعود بها في يوم القيامة؛ فكل حديث عن رحمة الله في الدنيا الواقعة ترسم الكلمة بالتاء المفتوحة، وهي رحمة خاصة، رحمة لشخص بعينه، أو لأُمَّةٍ بعينها، أو لموقف بعينه، إذن أنا أمام رحمة لحديث مخصوص، لكن الحديث عن الرحمة العامة جاء بالتاء المربوطة.

مثال آخر يوضح لك أن الرسم المصحفي، رسم دقيق ما كتب سدى، ولا كتب عبثاً. ومن ذلك أيضاً كلمة (جنة)، قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾[4]، التاء هنا مفتوحة، لكن في سورة الشعراء في حديث الله عن سيدنا إبراهيم عليه السلام جاءت التاء مربوطة، قال الله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ

---

(١) سورة هود، من الآية: (٧٣).

(٢) سورة هود، من الآية: (٧٢).

(٣) سورة هود، من الآية: (٧١).

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: (٨٨-٨٩).

﴿ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1]، وفي سورة المعارج في قوله تعالى: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾[2]، التاء هنا أيضاً مربوطة.

وهذا أمر يستحق الوقوف عنده؛ إذ إن كلمة: (جنة) في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾، جاءت مرسومة بالتاء المفتوحة، وفي سورة المعارج والشعراء جاءت التاء المربوطة، فلماذا جاء في سورة الواقعة بالتاء المفتوحة، وفي سورة المعارج والشعراء جاءت بالتاء مربوطة؟

سبق أن أشرنا إلى أن التاء المفتوحة تمثل قاعدة معينة، فتجيء دلالةً على وقوع الفعل، أو على حدوث الأثر. والآية تتكلم عن (جنة النعيم)، والجنة بلا خلاف في الآخرة، ما صلة ذلك بالوقوع؟ ولماذا التاء في سورة الواقعة مفتوحة، دون غيرها؟ هل يعني ذلك وقوع الأثر هنا بخلاف موضعي الشعراء، والمعارج؟

نعم؛ وذلك لأن الآية في سورة الواقعة تتكلم عن حالة الاحتضار، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[3]، ألم يرد في الحديث أن الميتَ في حالة الاحتضار يرى مقعدَه من الجنة؛ إن كان صالحاً، ويرى مقعدة من النار؛ إن كان طالحاً، والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار؛ وعلى ذلك: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾، هذا متعلق بمشهد الاحتضار، فيرى أثره في حياة البرزخ أو في القبر.

---

(١) سورة الشعراء، الآيان: (٧٧-٨٥).

(٢) سورة المعارج، الآية: (٣٨).

(٣) سورة الواقعة، الآيات: (٨٣-٨٩).

أما الحديث القرآني عن سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1] فهو دعاء. والدعاء للمستقبل، وليس للواقع. إذن: يطلب من الله أن يجعله من ورثة جنة النعيم، فهو حديث عن جنة النعيم في الآخرة.

أما في سورة المعارج: ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]، فهم – من الأصل – محرومون من دخول الجنة. هذا طمع، والطمع هنا لا محل له، فالكلام عن جنة النعيم في الدنيا أم الآخرة؟ نعم: في الآخرة.

قد تناولنا إلى الآن كلمة: (لعنة)، (امرأة)، (رحمة)، (جنة). فتعال إلى كلمة: (نعمة)، وهذا أيضاً مما يُتَعَجَّبُ منه: مرةً تجدها في القرآن الكريم بالتاء المفتوحة، ومرة تجدها بالتاء المربوطة. فماذا يعني؟ هذا أمر يسترعي الانتباه، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾[3]، التاء هنا مفتوحة.

وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾[4]، جاءت التاء مفتوحة.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[5]، التاء هنا جاءت أيضاً مفتوحة.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: (٨٥).

(٢) سورة المعارج، الآيات: (٣٦-٣٨).

(٣) سورة البقرة، من الآية: (٢٣١).

(٤) سورة المائدة، من الآية: (١١).

(٥) سورة إبراهيم، من الآية: (٣٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]، التاء جاءت مربوطة.

أَلاَ يستوقفك: كون التاء في سورة النحل مربوطة، وفي سورة إبراهيم عليه السلام مفتوحة، والآية تقريباً نفسها، وكلاهما مكيتان، عجباً لسياق القرآن الكريم ورسمه، إنني في حالة انبهار بهذا الرسم المصحفي الشريف، وَلَا بُدَّ لك أيها القارىء الكريم أن تبحث، وتحاول أن تنظر إلى سياق القرآن الكريم، وإلى الجو العام للسورة. فستجد نفسك تخرج بمعاني جميلة لم تقف عليها من قبل.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٢]، التاء هنا كيف جاءت؟ الجواب: مفتوحة، وفي نفس الآية قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ التاء موصولة بهاء الضمير.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾[٣] التاء مربوطة، فما هذا؟ مرة بتاء مربوطة، ومرة مفتوحة.

وأيضاً هناك آيتان متشابهتان، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾[٤]، شبيهة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾[٥]، فلماذا التاء مفتوحة هناك، ومربوطة هنا؟

---

(١) سورة النحل، من الآية: (١٨).

(٢) سورة آل عمران، من الآية: (١٠٣).

(٣) سورة الأحزاب، من الآية: (٩).

(٤) سورة المائدة، من الآية: (١١).

(٥) سورة الأحزاب، من الآية: (٩).

بعضُ علماءِ التفسير يذكر سبباً لنزول هذه الآية، وهو: في إحدى الروايات ورد أن بني النضير لما ذهب النبي ﷺ إليهم عند قباء؛ للمطالبة بِدَية الرجلين الذين قتلهما أمية بن عمرو الضمري، قالوا له: مرحباً أبا القاسم، وكان متكئاً بجوار مسجد قباء، ففكروا .. وَهَمَّ أحدهم أن يصعد إلى ظهر المسجد ويرمي رسول الله ﷺ بحجر من أعلى على رأسه؛ فيموت. هذا سبب، والسبب الثاني: أنه في إحدى الغزوات نام رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة، وجاء أعرابي، وأخذ سيف رسول الله ﷺ وقال: يا محمد من يمنعك مني الآن؟ قال رسول الله ﷺ : الله؛ فسقط السيف من يد الأعرابي.

إذن: موقفان كَادَا أن يُودِيَا بحياة النبي ﷺ، وَنَجَّا اللهُ رسولَه من بني النضير، وما استطاع هذا الذي صعد هذا المكان أن يرمي رسول الله ﷺ بحجر فيقتله، وجاء الوحي وأخبره بفعلهم. أليست هذه نعمة؟ بل هي نعمة كبري، إذن: نجاة الله لنبيه من بني إسرائيل، أو من بني النضير نعمة؛ لأن هلاكَ القائدِ يقيناً هلاكٌ للأمة؛ لأن موت النبي ﷺ موت للأمة آنذاك، فعظّم الله النعمة، وجعلها نعمة واقعةً وحادثة، فقال اذكروا نعمة الله عليكم.

لكن في موضع الأحزاب مع أنها كانت في غزوة الأحزاب، وفي أمر جلل، لكن النعمة هنا في سورة المائدة نعمة موجبة حاضرة، لكن في نعمة غزوة الأحزاب كان الموقف مع المسلمين عموماً، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ ؛ فليس بالضرورة أن يتطرق الأمر إلى استئصال شأفة الرسول ﷺ مع المسلمين، فهناك الأمر أخف، لكن هنا كانت القضية موجهة لمن؟ للرسول ﷺ . إذن: سماها نعمة واقعة وحادثة.

وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[1]، تتحدث عن أمر الطلاق في الجاهلية، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ

(١) سورة البقرة، من الآية: (٢٣١).

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[١]، حيث كانت المرأة في الجاهلية تطلق أربعاً وخمساً وعشرًا إلى آخره، فقال الله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[٢]، فيسر الله الأمر وحدّ الحدود؛ إما أن تعايشها بمعروف، أو تسرحها بإحسان، وجعل الطلاق مرتين، أليست هذه نعمة واقعة للمرأة!؟ لذا جاءت بالتاء المفتوحة.

وفي قصة الأوس والخزرج، وما كان بينهما من حروب ودماء، إلى غير ذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٣]، نعمة واقعة أم لا؟ الجواب: واقعة.

إذن: التاء تشير إلى نعمة واقعة، وحادثة. أما النعمة بالتاء المربوطة فتكون مدخرة، أو النعمة العامة.

في سورة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٤]، وقبلها قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾[٥]، طالما بدلوا النعمة، والتبديل يكون للواقع، أم لغير الواقع؟ للموجود أم لغيره؟

أعود للمثال الذي هو موضع التشابه، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ

---

(١) سورة البقرة، من الآية: (٢٣١).

(٢) سورة البقرة، من الآية: (٢٢٩).

(٣) سورة آل عمران، من الآية: (١٠٣).

(٤) سورة إبراهيم، من الآية: (٣٤).

(٥) سورة إبراهيم، من الآية: (٢٨).

(٦) سورة إبراهيم، من الآية: (٣٤).

ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[١]، فالكلمتان لا فرق بينهما، ولكن الخلاف في الفاصلة: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾، مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾. فجاءت التاء مفتوحة مع: (ظَلُومٌ كَفَّارٌ)، وجاءت التاء مربوطة مع: (غَفُورٌ رَحِيمٌ). ماذا أفهم من ذلك؟ وهل الفاصلةُ تفيد شيئاً؟

لو نظرنا إلى الآيات التي قبل هذه الآية في سورة إبراهيم عليه السلام نجد حديثاً عن النعيم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ ﴾[٢]، فهذه كلها نعم. ثم قال تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[٣].

وقال تعالى أيضاً في سورة النحل في معرض الحديث عن النعم قبل هذه الآية: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾[٤]، وكذا قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾[٥]، ففي السورتين نجد حديثاً عن النعم موجودة، فلم جاءت: (نعمت) في سورة

---

(١) سورة النحل، من الآية: (١٨).

(٢) سورة إبراهيم، من الآيتان: (٣٢-٣٣).

(٣) سورة إبراهيم، من الآية: (٣٤).

(٤) سورة النحل، من الآية: (١٠).

(٥) سورة النحل، من الآيتان: (٥-٦).

إبراهيم بتاء مفتوحة؟ في حين جاءت في سورة النحل بتاء مربوطة: (نعمة) على الأصل، والسياق واحد؟

السرُّ هو أن المخاطَبَ في كل منهما مختلف. كيف ذلك؟ ففي سورة إبراهيم عليه السلام تتحدث الآيات عن سيدنا موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، فقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾[1]، فالحديث مع بني إسرائيل، وَهُمْ قوم مؤمنون، أم كفرة؟ الجواب: مؤمنون.

والحديث في سورة النحل مع كفار مكة، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[3]، فالحديث هنا مع كفار مكة، وهم قوم لم يؤمنوا.

إذن: هنا في سورة النحل حديث مع كفار مكة، وهم قوم لم يؤمنوا بعد، وفي سورة إبراهيم عليه السلام حديث مع بني إسرائيل، وهم مؤمنون، وعليه فهل الذى ءامن مقر بالنعمة واقع فيها أم لا؟

الجواب: نعم، حيث امتن الله على بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[4]، وقعت النعمة أم لم تقع؟ ننظر إلى النعمة هناك وإلى الأرض التي خرجت منها، وإلى موقف الإنسان من النعمة؛ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ

---

(١) سورة إبراهيم، من الآية: (٦).

(٢) سورة النحل، من الآية: (١٧).

(٣) سورة النحل، من الآية: (٢٠).

(٤) سورة البقرة، من الآية: (٥٧).

﴿ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[١]. إذن: ربط النعمة بالأرض هناك؛ باعتبار أنها خرجت من الأرض، وأن الإنسان مخلوق من الأرض، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾، أي: لنعمة موجودة.

أما بالنسبة لسورة النَّحْلِ، فختمت الآيةُ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ لأنها تدعو إلى إثباتِ الوحدانية. وإثباتُ الوحدانية غيبٌ؛ إذن: أنت تتحدث عن نعمة مَصْدَرُهَا السَّمَاءُ، وعلى ذلك: فأنت تطلب من الله العفوَ والمغفرةَ، والعبد إذا ءامن يعفو الله عنه، ويغفر له، وإذا لم يؤمن يُعَذِّبُ ... إذن: النعمة وقعت، أم لم تقع بعد؟ لم تقع بعد، وعليه: فختام الآيةِ كان فاصلاً في تحديد ذلك.

ومن ذلك أيضاً كلمة: (قُرَّة) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[٢]،وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾[٣]، هذان موضعان في القرآن: في سورة القصص بتاء مفتوحة، وفي سورة الفرقان بتاء مربوطة.

ومن صفات عباد الرحمن أن يطلبوا، ويلحوا على الله في الدعاء، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[٥]، أهذا واقع حقيقة، أم يطلب للمستقبل؟

---

(١) سورة إبراهيم، من الآية: (٣٤).

(٢) سورة الفرقان، من الآية: (٧٤).

(٣) سورة القصص، من الآية: (٩).

(٤) سورة الفرقان، من الآية: (٦٥).

(٥) سورة الفرقان، من الآية: (٧٤).

الجواب: يطلب لغيبٍ لم يقع، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[1]، هذا مطلب طبيعي، أم غير طبيعي؟ طبيعي أن يطلب الإنسان الولد، وأن يكون قرة عين، فجاء المطلب على أصله؛ لأن الولد الأصل فيه أن يكون قرة عين. إذن: أولاً هذا مطلب على أصله، فجاء رسم الكلمة على أصله.

الأمر الثاني: أنه لم يحدث بعد؛ لأنه يطلب لغيب لم يقع قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا ﴾، موجود أم ما زال غير موجود؟ الجواب: لم يوجد.

وتعالَ مَعِي إلى سورة القصص؛ لِنَقِفَ على حديث (امرأة فرعون) عن سيدنا موسى عليه السلام، فعداوةُ فرعون معلومة للجميع؛ فقد كان يُقَتِّلُ الذكور من بني إسرائيل؛ خاصاً لَمَّا علم الخطورةَ على ملكة، فكان يقتل كل ولد ذكر .. في هذه الحالة عندما يجيء موسى ـ وهو الذي يُخَافُ منه على ملك فرعون – لعنه الله ـ وتقول امرأة فرعون لما رأت موسى: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾، هل العدو في ظن فرعون يكون قرة عين؟

الجواب: لا؛ لأن: (قرة العين) هنا على غير طبيعتها. إذن: خالف في رسمها؛ للدلالة على أن: (القرة) لم تأت على أصلها، لكن في سورة الفرقان جاءت على أصلها. والله تعالى أعلم، ومنه الهداية والتوفيق.

اللهم اجعلنا ممن يفقه كلامك، ويتدبر معانيه، واجعلنا من أهل القرآن الكريم الخلص، وصلَّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

*****

(١) سورة الفرقان، من الآية: (٧٤).

الخاتمة، وفيها: (أهم النتائج وبعض التوصيات):

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد اتضح لي من خلال هذا البحث عدة نتائج وبعض التوصيات، منها:

١- ما زال القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه؛ ومن ذلك اللطائف والإشارت في رسم مصحفه المتميز عن غيره من الرسوم العربية.

٢- الرسم المصحفي شرط أساس من شروط قبول القراءة.

٣- خصوصية القرآن الكريم بهذا الرسم دون غيره من الكتب.

٤- للرسم المصحفي قواعد أرسى دعائمها علماء الرسم والقراءات، وغيرهم، وتم الاتفاق عليها.

٥- وقوف بعض العلماء السابقين على بعض أسرار الرسم المصحفي.

٦- جمهور أهل العلم على وجوب اتباع رسم المصحف الشريف.

٧- اتصال السند من أهم فوائد اتباع الرسم المصحفي.

٨- اهتمام العلماء برسم المصحف الشريف قديماً وحديثاً؛ يدل على ذلك كثرة المؤلفات فيه.

٩- خطورة دعوى البعض بعدم الالتزام بالرسم المصحفي؛ إذ إنها تؤدي إلى ضياع بعض اللطائف والأسرار والإشارات التي يحملها هذا الرسم.

١٠- إلزام جميع المطابع الحديثة بطبع المصاحف التي كتبت بالرسم المصحفي دون غيرها.

١١- إنشاء لجنة علمية تنطلق من تحت مظلة الأزهر الشريف يكون لها الحق في مصادرة المصاحف التي قد تطبع على غير الرسم المصحفي، مع إيقاع عقوبة مالية على من يقوم بمثل ذلك.

١٢- عمل دورات علمية في الإعلام المرئي والمسموع حول الرسم المصحفي وفوائده وأسراره؛ ليدرك الناس أهمية هذا العلم.

والله ولي التوفيق

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣٢
أهمية الموضوع.....	٣٢
الدراسات السابقة	٣٣
منهج البحث	٣٣
التمهيد.....	٣٦
المطلب الأول: التعريف بالرسم المصحفي.....	٣٦
المطلب الثاني: الخط العربي وأقسامه	٣٨
أقسام الخط العربي.....	٣٨
القسم الأول: الخط الاصطلاحي، أو الإملائي	٣٩
القسم الثاني: الخط العروضي	٣٩
القسم الثالث: الخط العثماني، أو المصحفي	٤٠
المبحث الأول الرسم المصحفي ضابط أساس من ضوابط قبول القراءة	٤١
المطلب الأول قواعد الرسم المصحفي	٤١
المطلب الثاني: فوائد معرفة الرسم المصحفي	٤٢
المبحث الثاني: الرسم المصحفي بين التوقيف والاجتهاد.....	٤٥
أولا: القائلون بعدم توقيفية الرسم المصحفي.....	٤٥
ثانيا: القائلون بتوقيفية الرسم المصحفي.....	٤٦
المبحث الثالث: الدراسة التطبيقية على التاء المفتوحة والمربوطة..	٤٩
الخاتمة.....	٧٦
الفهرس	٧٧

❊❊❊❊❊